@Tafsircenter

عـمـران الـبـدوي
Emran El-Badawi

الإدانة في القرآن وإنجيل مَتَّى السُّرياني

ترجمة: أمنية أبو بكر

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بعمران البدوي:

باحث من أصل مصري، حاصل على الدكتوراه في لغات وحضارات الشرق الأدنى من جامعة شيكاغو، وهو أستاذ مشارك في دراسات الشرق الأوسط بجامعة هيوستن. وهو المدير التنفيذي المؤسس للجمعية الدولية للدراسات القرآنية IQSA.

تتركز اهتمامات البدوي في دراسة الأناجيل السريانية والعلاقة بينها وبين القرآن.

من أهم كتبه في هذا السياق كتابه:

The Qur'an and the Aramaic Gospel Traditions, New York; London: Routledge Press, 2013

القرآن وتقاليد الإنجيل الآرامية.

مقدمة[1]:

رغم أنّ الدرس الاستشراقي المعاصر قد عرف الانفتاح على كثيرٍ من المنهجيات الأدبيّة المعاصرة ومنهجيات دراسة الكتاب المقدّس المتطوّرة التي أفادت في تحريك إشكال العلاقة بين القرآن والكتابات السابقة، من الاهتمام بقضية مصدر النصّ وأصوله كما كان في الاستشراق الكلاسيكي، نحو الاهتمام بالبناء الخاصّ للنصّ القرآني وطريقة تناوله مضامين الكتب السابقة عليه، إلّا أننا لا نستطيع القول بالغياب التامّ لمثل هذه الاهتمامات العتيقة على ساحة الدرس الاستشراقي المعاصر، بل لعلّها قد عادت للسطح بصورة أكبر مع ظهور الاتجاه التنقيحي الذي وصل إلى نفي كلّ أصالة عن الإسلام حتى صار نِحلة يهودية أو مسيحية لم تستقلّ بهويّة دينية خاصّة إلّا في القرن الثامن أو التاسع، ونفي كلّ أصالة عن القرآن حتى ليتحوّل لكتاب تلاوات وصلوات لبعض طوائف الوسط الديني في الشرق الأدنى.

(١) قام بكتابة المقدمة، وكذا التعريف بالأعلام وكتابة الحواشي والتعليقات الواردة في نصّ الترجمة؛ مسؤولو قسم الترجمات في موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلف بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات).

ومن الأمثلة المهمّة على هذه الدراسات التي تستعيد الصيغة الكلاسيكية لنقاش هذا الإشكال بصورة كبيرة هي الدراسات التي تهتم بتسييق القرآن بصورة رئيسة في سياق المسيحية الشرقية السريانية، وتحاول تقديم أدلة على ارتباطه ببعض المدونات السريانية لهذا الوسط الديني مع تفاوت المدى الذي تضعه لهذه الصلة والنتائج التي تصل إليها من مقارنة القرآن بهذه المدونات.

في هذه الدراسة التي بين أيدينا، يقوم عمران البدوي الباحث في دراسات الشرق الأوسط بمركز هيوستن بمحاولة إعطاء أبعاد أكثر دقّة للدراسات المهتمة بتسييق القرآن في الوسط السرياني، حيث يبغي تجاوز ما يلحّ على كونه نقصًا في الدراسات السابقة، والتي اكتفت -وفقًا له- بربط القرآن بهذا السياق عبر الإشارة إلى بعض الاشتراكات في المعجم أو المواضيع أو القصص، وهذا عبر تحديده مدونة محدّدة يتم مقارنة القرآن بها، سواء من حيث الاشتراك في المعجم اللفظي أو اللاهوتي أو البنية السردية والحجاجية لموضوعات بعينها.

في هذا الإطار يقوم البدوي بمقارنة القرآن بإنجيل متى السرياني في موضوع محدّد وهو الإدانة المقدمة لعلماء اليهود في علاقتهم بناموس موسى، حيث يحاول مقارنة السياقات الجزئية للإدانة (إدانة الكتَبَة، الإدانة بقتل الأنبياء، الإدانة بالرياء، الإدانة الأخروية)، لغويًّا ولاهوتيًّا وحجاجيًّا؛ ليثبت الصلة بين النصّين باعتبار إنجيل متّى وعبر الوسائط الشفوية الشعرية والليتورجية في الوسط الديني العربي.

ورغم أن البدوي يستحضر بوضوح استقلال النصّ القرآني وأصالته خصوصًا في إحالاته المتكرّرة على غريفث، إلّا أن دراسته تتنزّل في سياق إثبات الصلة بإنجيل متّى أكثر من تنزّلها في سياق كشف الصنيع القرآني بقصص وجدالات وموضوعات الكتب السابقة عليه.

إنّ الهدف من ترجمة هذه المادة ضمن هذا الملف؛ هو إبراز أن الدرس الاستشراقي المعاصر يشهد تنوعًا كبيرًا، وأن القَطْع مع الإشكالات الكلاسيكية أو طريقة تناولها ليس بالحديّة التي يمكن أن تُتصور، وإن لم يعنِ هذا قطعًا المماثلة التامة معها.

كما يزيد من أهميتها تتبعها لمسار الدراسات القرآنية الغربيّة، خصوصًا المتعلقة بالصلة بين القرآن والكتب السابقة؛ مما يجعلها تلخيصًا مفيدًا لهذا المسار منذ الدراسات الكلاسيكية وإلى السياق المعاصر.

الدراسة[١]

مقدمة[٢]:

بإمكان المرء القول بأن المقارَبة المقارِنة المتّبعة إزاء النصّ القرآني والنصوص المقدّسة التي تسبقه والتقاليد المقدّسة، تنطلق من القرآن نفسه[٣]. كما أنّ ندرة الأدلة التوثيقية، والطبيعة الإشكالية للمصادر الأدبية الإسلامية التقليدية[٤]، والتي تعقد دراسة القرآن، تُحَتِّم مُقَارَبةً مُقارِنة. فقد كانت مسألة

---

(١) ترجم هذه المادة: أمنية أبو بكر، مترجمة لها عدد من الترجمات المنشورة على عدد من المواقع الإلكترونية.

(٢) يمثّل البحث الذي قمتُ به لكتابة هذه الورقة فصلًا من أطروحتي المنشورة بعنوان:
"Sectarian scripture: The Qur'ān's dogmatic re-articulation of the Aramaic Gospel Traditions in the context of the Late Antique Near East."

(٣) ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [سورة يونس: ٩٤].
ملاحظة المؤلف: [جميع الآيات المترجمة إلى الإنجليزية هي من ترجمتي، ما لم أُشِر إلى ترجمة أخرى].

(٤) يشير فرِد دونر (F. Donner) في كتابه: Narratives of Islamic Origin: the Beginnings of Islamic historical Writing, Princeton: Darwin Press, 1998, 4-5 إلى أنّ كثيرًا من المصادر الإسلامية «تكشف عن تعقيدات داخلية، ...وتناقضات كرونولوجية، ...وأمور منافية للمنطق، ...وتضاربات في معاني الأحداث، ...ومعلومات تحمل أخطاء تاريخية بشكلٍ واضحٍ، ...وأدلة على عملية تنميق أو اختلاق مباشرة هادفة إلى التبرير الديني أو السياسي». كما يرى دونر (في المرجع نفسه =

الخلفية التوراتية والمدراشية والأبوكريفية للقرآن[١] من شواغل الدراسة العلمية الدقيقة في معظم الوقت لقرنين من الزمان. ومع ذلك، بحسب معرفتي، لم تتمّ أيّ دراسة مقارنة مباشرة بين القرآن والأناجيل السريانية. وتعود غرابة غياب دراسة كهذه إلى الصّلة بين مجتمعات جزيرة العرب وبين الأدبيات المقدّسة والتعبيرات اللاهوتية للمجموعات المسيحية المتكلمة بالسريانية في الأوساط العربية القديمة المتأخّرة التي ظهر القرآنُ فيها. وحياة المسيحيين المتكلمين بالعربية كانت مزدوجة اللغة؛ إذ تحدثوا بالعربية للتعبير عن الأمور اليومية المشتركة، وبالسريانية للأغراض الليتورجية والدينية[٢]. ولتقدير الحاجة

=

ص٤٩، ٦٠-٦١) أن القرآن كشريعة مغلقة كان نصًّا مبكّرًا يرجع تاريخه إلى ١٣هـ/ ٦١٠م – ٣٥هـ/ ٦٥٦م تقريبًا.

(١) سيدني غريفِث (Sidney Griffith)، "The Gospel, the Qur'ān, and the presentation of Jesus in al-Ya'qubi's Tarikh," تحرير: جون ريز J. Reees، " Bible and Qurʾān: Essays in Scriptural Intertextuality, Atlanta: Society of Biblical Literature" (133-160),2003

(٢) جون ترِمِنجهام (J. Trimingham): Christianity among the Arabs in Pre-Islamic Times, Beirut: Longman, 1979, 19. غريفث، The Church in the Shadow of the Mosque: Christians and Muslims in the World of Islam, Princeton: Princeton University Press, 2008 ص ٨-٩، ١٢.

إلى دراسة حول القرآن والأناجيل السريانية، يلزم علينا أولًا أن نبين بإيجازٍ مكانةَ اللغة السريانية في الدراسات القرآنية.

في الأطروحة المهمّة لأبراهام جيجر (Abraham Geiger)[١] «ماذا أخذ مُحمد عن اليهودية؟»[٢] المنشورة في عام ١٨٨٣م، وجَّه الانتباه إلى الدَّوْر الكبير الذي أدّاه الكتاب المقدّس العبري والمصادر الحاخامية في تشكيل الرؤية الكونية الدينية للقرآن. وقد حاز الدَّوْر المهم للغة في القرآن على قيمة أكبر لدى كلٍّ من تيودور نولدكه[٣] (Theodor Nöldeke)، وكار فولِرز (Karl Vollers).

---

(١) أبراهام جيجر (١٨١٠-١٨٧٤) هو مستشرق ألماني وحبر يهودي، وصاحب أهمية كبيرة في تاريخ الإصلاح اليهودي، حيث يعتبر رائد الإصلاحية اليهودية في العصر الحديث، وتمحورت دراساته حول فقه اللغات الكلاسيكية العبرية والسريانية، وحول العهد القديم، طالما آمن جيجر بالمركزية اليهودية في الأديان الكتابية وبمدى تأثير الكتاب المقدّس على المسيحية والإسلام، وأشهر كتبه ربما هو الذي ذكره المؤلف. (قسم الترجمات).

(٢) أبراهام جيجر (Abraham Geiger): Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenommen?, Bonn: Baaden, 1833

(٣) تيودور نولدكه، Theodor Nöldeke (١٨٣٦-١٩٣٠)، شيخ المستشرقين الألمان كما يصفه عبد الرحمن بدوي، درس عددًا من اللغات الساميّة: العربية، والعبرية، والسريانية، وآرامية الكتاب المقدّس، ثم درس -وهو طالب في الجامعة- الفارسية والتركية، وفي العشرين من عمره حصل على الدكتوراه عن دراسته حول «تاريخ القرآن»، وهي الدراسة التي قضى عمره في تطويرها، وقد صدر الجزء الأول من «تاريخ القرآن» في ١٩٠٩، وعمل عليه مع نولدكه تلميذه شفالي، ثم صدر الجزء الثاني عن

=

فقد حاجج نولدكه -مُتّبِعًا النظرية التقليدية- بأن اللغة العربية *الفصحى* ظهرت بصفتها لغة للحديث بين القبائل العربية، حتى قبل ظهور الإسلام(١). أمّا فولرز فقد دفع ذلك الادّعاء محاججًا بأنّ القبائل العربية قبل ظهور الإسلام تحدثت بعدة *لهجات عربية مختلطة* (koiné- لهجة يفهمها جميع المتحدّثين ويتكلمونها دون حاجة للتخلي عن لهجاتهم الخاصّة)، وأن *الفصحى* تطوّرت فيما بعد مع الحضارة الإسلامية(٢).

كما أفضت الدراسات المُقارِنة مع اليهودية والمسيحية الأكثر شمولًا إلى مُؤلَّف فِلهِلم رودولف (Wilhelm Rudolph) المنشور عام ١٩٢٢م «اعتماد

=

تحرير تلميذه فيشر عام ١٩٢٠، وصدر الجزء الثالث عام ١٩٣٧ عبر تحرير تلميذه برجستراسر ثم برتزل. كذلك درس نولدكه «المشنا» وتفاسير الكتاب المقدّس أثناء عمله معيدًا في جامعة جيتنجن، له إلى جانب كتابه الشهير «تاريخ القرآن» كتبٌ حول اللغات السامية، منها: «في نحو العربية الفصحى»، و«أبحاث عن علم اللغات السامية»، عمل أستاذًا في جامعة كيل ثم جامعة اشتراسبورج، كتابه «تاريخ القرآن» مترجم للعربية، حيث ترجمه: جورج تامر، وصدر عن منشورات الجمل، بيروت، ٢٠٠٨. (قسم الترجمات).

(١) تيودور نولدكه (T. Nöldeke): Neue Beitrage zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg: 1904، وارجع أيضًا إلى كتاب: Geschichte des Qorans, Göttingen, 1860.

(٢) كار فولِرز (Karl Vollers): Vollers, Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien, Strassburg: K.J. Trübner، ١٩٠٦، ص ١٨٥-١٩٥.

القرآن على اليهودية والمسيحية»[١]، وإلى المنهج الاستقصائي المستخدم لاستخلاص مصادر القرآن، المنفذ بالكامل على يد يوسف هوروفيتس (Joseph Horovitz)[٢] بحلول عام ١٩٢٦م عند كتابته «التحقيقات القرآنية»[٣]. كما نُشِرَ في العام نفسه «نشأة الإسلام في بيئته المسيحية» ريتشارد بيل (Richard Bell)[٤]. وفيه يصف بيل التأثير العام للسريانية وبلاد ما بين النهرين والكنيسة الحبشية بشكلٍ خاصّ على جزيرة العرب القديمة المتأخرة Late Antique

(١) فِلهِلم رودولف (Wilhelm Rudolph): Die Abhängigkeit des Qorans von Judentum und Christentum, Stuttgart: Kohlhammer, 1922

(٢) يوسف هوروفيتس Josef Horovitz، (١٨٧٤-١٩٣٢): مستشرق ألماني، درس في جامعة برلين، وعيّن فيها أستاذًا عام ١٩٠٢، ثم عيّن أستاذًا للغات السامية بجامعة فرانكفورت عام ١٩١٤، وهذا حتى وفاته.

اهتماماته الرئيسة تدور حول المغازي والتاريخ الإسلامي، حقّق بعض الكتب، أهمها «المغازي» للواقدي، وكانت رسالته للدكتوراه حولها، من كتبه الشهيرة: "Das koranische Paradies"، «الجنة في القرآن» وهو كتاب صغير فيه اشتغال فيلولوجي على معجم الجنة في القرآن، ترجمه للعربية: محسن الدمرداش، وصدر عن منشورات الجمل، بغداد، بيروت، ٢٠١٦. (قسم الترجمات).

(٣) يوسف هوروفيتس (Joseph Horovitz): Koranische Untersuchungen, Walter De Gruyter: Berlin & Leipzig, 1926.

(٤) ريتشارد بيل (١٨٧٦-١٩٥٢): مستشرق بريطاني، أستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة، له اهتمام كبير بالقرآن؛ حيث كتب حول أسلوب القرآن ومتشابه القرآن، كما أنه اهتم بعلاقة القرآن وعلاقة النبي بالمسيحية، كما أنه ترجم القرآن (١٩٣٧-١٩٤١). (قسم الترجمات).

Arabia، مؤكِّدًا على آثار ذلك التأثُّر البادية في القرآن. كما أقرّ بيل بأن بعض المصطلحات القرآنية «تشير إلى توغّل الحضارة الآرامية في جزيرة العرب»[١]. وتوسّع البحث اللغوي في أصول القرآن مؤخرًا لينظر إليه كخطاب يشمل تنويعة من اللغات القديمة المتأخرة. ويُبرِزُ آرثر جيفري (Arthur Jeffery)[٢] في كتابه: «الألفاظ الأجنبية في القرآن» الدّوْرَ اللاهوتي والأدبي الأساسي للمصطلحات القرآنية المُتَحَدِّرة من لغات أخرى، كالآرامية (والسريانية خصوصًا) والعبرية والإثيوبية واليونانية والفارسية[٣]. وقد أَتْبَع جيفري هذا الكتاب بمؤلَّفاتٍ أخرى حول القرآن، مثل: «القرآن نصًّا مقدسًا» الذي يضع القرآن ضمن النوع المتشعّب (diverse genre) للنصّ المقدّس، في السياق

(١) Richard Bell: Bell, The Origin of Islam in its Christian Environment, London: Macmillan, 1926:43, 18-39. انظر أيضًا مناقشته سورة الفيل في هذا الكتاب.

(٢) آرثر جيفري (١٨٩٢-١٩٥٩): مستشرق أسترالي، كان أستاذًا للغات السامية في كلية الدراسات الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة منذ ١٩٢١، ومنذ عام ١٩٣٢ في جامعة كولومبيا في قسم دراسات الشرق الأدنى، ثم في مدرسة اللاهوت بنيويورك. تتركّز اهتماماته الرئيسة في تاريخ القرآن، كتَب في هذا عددًا من الكتب: الأحرف الغامضة في القرآن، المفردات الأجنبية في القرآن، التاريخ النصّي للقرآن، وقد حقّق وقدّم كتاب المصاحف لابن أبي داوود، والمطبوع بالمطبعة الرحمانية بمصر عام ١٩٣٦. (قسم الترجمات).

(٣) Arthur Jeffery: The Foreign Vocabulary of the Qur'ān, Baroda, India: Oriental Institute, 1938.
انظر أيضًا: (Andrew Rippin): "Foreign Vocabulary" 2:226

الديني دائم الاشتباك للشرق الأدنى (سورية وبلاد الرافدين وبلاد فارس ومصر وجزيرة العرب) العتيق (قبل ٣٠٠ ح.ع تقريبًا) والقديم المتأخر (٣٠٠-٧٠٠ ح.ع تقريبًا)[١].

وقد بدأت دراسة القرآن في العلاقة بالسريانية في عام ١٩٢٦م -وإن لم تحظ بالاهتمام- بكتاب تور أندرِيه (Tor Andræ)[٢] «أصل الإسلام والمسيحية»[٣].

---

(١) آ. جيفري، The Qur'ān as Scripture، نيويورك: ر.ف. مور، ١٩٥٢.

(٢) تور أندريه Tor Andræ، (١٨٨٥-١٩٤٧): مستشرق سويدي، هو أستاذ تاريخ الأديان في جامعة ستوكهولم، وراعي كنيسة أبسالا وأسقف لينكوبينغ ووزير للشؤون الدينية، يعتبر أندريه واحدًا من أهمّ المستشرقين الذين بلوروا فكرة التأثير المسيحي في الإسلام، حيث يَعْتَبِر للمسيحية أثرًا في كلّ ما يتعلّق بالإسلام في نشأته، حيث يعتبر أنّ النبي محمدًا أخذ معرفته شفاهة عن بعض مسيحيي الجزيرة، وكذلك في نشأة التقاليد اللاحقة الحافّة بالإسلام مثل التصوّف. له عددٌ من الكتابات المهمّة في المسيحية وفي التصوّف وعلم النّفْس وتاريخ الأديان والسّيرة، على رأسها كتابه: «المسيحية الدين الكامل» وكتابه: « Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben Seiner Gemeinde»، محمد حياته وعقيدته»، الصادر عام ١٨٣٠، وهو كتاب واسع الانتشار تُرْجِم إلى لغات عدّة، وكتابه عن التصوّف الإسلامي الذي طبع عام ١٩٤٧ بعد وفاته « I myrten trädgården. Studier i sufisk mystik.»، وهو مُتَرْجَم إلى العربية بعنوان: «التصوف الإسلامي»، ترجمه: عدنان عباس علي، وصدر عن دار الجمل، كولونيا (ألمانيا)، عام ٢٠٠٣. (قسم الترجمات).

(٣) لقد نُشِر كتاب أندريه في المقام الأول في مجلة سويدية ذات شهرة محدودة تدعى: (Kyrkshistorisk årsskrift) بين ١٩٢٣-١٩٢٥، كما أن عنوان الكتاب لم يُوحِ بأنه سيقدّم دراسة مقارنة بين القرآن والأدبيات السريانية. راجع:

T. Andrae, Der Ursprung der Islams und das Christentum, Uppsala: Almqvist & Wiksells, 1926; Fr. trans. Les origines de l'islam et le christianisme, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1955.

وبعد وصفه جزيرة العرب القديمة المتأخّرة على نحوٍ مشابهٍ لتصوير بيل؛ حيث أحدثت الكنيستان: (النسطورية الفارسية، والمونوفيزية الإثيوبية)، تأثيرًا كبيرًا على امتداد طرق التجارة العربية، يقوم التحليل الحصيف لأندرِيه بمقارنة الآيات القرآنية بكثير من الكتابات السريانية، ولا سيما أناشيد أفرام (المتوفى في سنة ٣٧٣)[١]. وفي السنة التالية، أسس ألفونس مِنْجانا (Alphonse Mingana)[٢] للبحث القرآني في سياق السريانية في بحثٍ بعنوان: (التأثير السرياني على أسلوب القرآن)، قدَّمَ فيه تصنيفًا مختصرًا وأمثلة على بعض الكلمات السريانية المستخدمة في القرآن، مؤكدًا على أن ٧٠٪ من غريب ألفاظ القرآن ذو أصلٍ سرياني[٣]. إلّا أن بحث مِنْجانا لم يكن شديد الأثر على الدراسات القرآنية،

---

(١) Tor Andræ، Les origines de l'islam et le christianisme, 151-61

(٢) ألفونس منجانا (١٨٧٨-١٩٣٧) مستشرق وكاهن كلداني، كان والده قسيسًا كلدانيًّا بالكنيسة المتحدة في روما، درس في المعهد السرياني الكلداني للدعوة بالموصل، فتعلم السريانية والعربية والتركية والفارسية، وبعد خلاف لاهوتي مع الكنيسة الكاثوليكية -بسبب بعض آرائه- ترَك الموصل وسافر إلى المملكة المتحدة، وهناك عمل كأستاذ للغات واللاهوت في كلية وودبروك، ثم عمل في مكتبة جون رايلند ذات الشهرة في المخطوطات العربية، وقد نشر بصحبة مرجليوث المستشرق الإنجليزي (١٨٥٨-١٩٥٠) كتاب: «الدين والدولة» لعلي بن ربن الطبري (٨٣٨-٨٧٠). (قسم الترجمات).

(٣) أ. A. Mingana، "Syriac influence on the style of the Kur'ān," Bulletin of the John Rylands Library 2, 1927, 80.

وباستثناء كتابات أندريه ومنجانا -غير المتناولة الأناجيل السريانية رأسًا، وإنما المؤلفات السريانية عمومًا- فإن البحث القرآني في سياق السريانية -نسبيًّا- لم يكن شائعًا.

تشمل الدراسات اللاحقة على القرآن «المسيحية في القرآن»[١]، لكارل آرِنز (Karl Ahrens)، و«قصص أهل الكتاب في القرآن» لهاينريش شباير (Heinrich Speyer)[٢]، الذي يستشهد بالمصادر السريانية بصورة متكرّرة، وبالأناجيل السريانية في بعض المناسبات[٣]، و«القرآن والوحي اليهودي-المسيحي»[٤]

(١) K. Ahrens, "Christliches im Qoran," ZDMG 84, 1930, 148-90.

(٢) هاينريش شباير، Heinrich Speyer، (١٨٩٧-١٩٣٥): مستشرق ألماني، درس في جامعة فرانكفورت، وحصل على الدكتوراه منها عام ١٩٢١، وعمل كأستاذ في المدرسة الحاخامية بجامعة برسلاو عام ١٩٣٤.

اهتماماته الأساسية تتعلّق بالقصص الكتابي وعلاقته بالقرآن، أشهر كتاباته في هذا كتابه الذي نشر عام ١٩٣٥ بعد وفاته: Die biblischen Erzählungen im Qoran، «القصص التوراتي في القرآن»، وفيه مقارنة تفصيلية للقصص التوراتي مع القرآن، وقد ترجم نبيل فياض بعض فصوله للعربية، في كتاب بعنوان: «قصص أهل الكتاب في القرآن»، وصدر عن دار الرافدين، عام ٢٠١٨. (قسم الترجمات).

(٣) H. Speyer, Die biblischen Erzählungen im Qoran, Gräfenhainichen: Schulze,1931. Republished, Die biblischen Erzählungen im Qoran, Hildesheim: G. Olms, 1961.

(٤) Denise Masson, Le Coran et la révélation judéo-chrétienne, Paris: Adrien-Maisonneuve, 1958

لدنيس ماسون[١] (Denise Masson)، و«الإنجيل والقرآن»[٢] ليوهان ديترِش تاين (Johann-Dietrich Thyen)، و«الإنجيل والقرآن»[٣]، لأوغو بوناناتي (Ugo Bonanate)، وأعمال مشابهة أخرى.

وأثناء هذا الزمن، استمر الباحثون في الدراسات القرآنية في تجاهلهم تأثير السياق السرياني، حتى إذا ركّزوا بانتباه متجدّد على التأثيرات المسيحية. أمّا غونتر لولينغ (Günter Lüling)[٤]، ففي كتابه: «حول القرآن الأصلي»

---

(١) دنيس ماسون (١٩٠١-١٩٩٤)، مستشرقة فرنسية، لها ترجمة للقرآن صدرت عام ١٩٦٧، وقد مدحها الأزهر، لها عدد من الكتب في مقارنة الأديان، مثل: القرآن والوحي اليهودي المسيحي؛ دراسات مقارنة، ١٩٥٨، الماء والنار والضوء وفقًا للكتاب المقدّس والقرآن والتقاليد، ١٩٨٦، التوحيد القرآني والتوحيد الكتابي، ١٩٨٨. واشتهرت ماسون باسم سيدة مراكش. (قسم الترجمات).

(٢) J.-D. Thyen, Bibel und Koran, Köln: Böhlau, 1989

(٣) U. Bonanate, Bibbia e Corano, Turin: Bollati Boringhieri, 1995

(٤) غونتر لولينغ، Günter Lüling، (١٩٢٨-٢٠١٤): لاهوتي بروتستانتي ألماني، تركزت دراساته في بدايات الإسلام، حيث حاول إثبات فرضيته عن كون الإسلام تطوّر أصلًا عن نِحلة لجماعة مسيحية كانت تسكن مكة، وأن القرآن هو تطوّر لاحق للتراتيل المسيحية المستخدمة من هذه الجماعة، له عدد من الكتب في هذا السياق، منها:

Kritisch-exegetische Untersuchung des Qur'antextes. Erlangen, 1970

دراسة تفسيرية نقدية للنصّ القرآني.

Über den Ur-Qur'an. Ansätze zur Rekonstruktion vorislamischer christlicher Strophenlieder im Qur'an. Erlangen: Lüling, 1974

حول القرآن الأصلي، مقاربات لإعادة بناء التراتيل المسيحية قبل الإسلام في القرآن.

=

المنشور في عام ١٩٧٤م نظر إلى القرآن بوصفه جزءًا من خطاب مسيحي عربي سابق على الإسلام. ويناقش لولينغ أنّ القرآن في الأصل يتألّف من تراتيل مسيحية شعرية مرّت بمراحل من الأسلمة على أيدي المفسرين. ولا يناقش دور اللغة السريانية ولا أدبياتها[١].

أعاد بعض الباحثين موقَعة القرآن وسط التأثيرات الأدبية اليهودية[٢]. فقد قام جون وانسبرو (John Wansbrough) بالبحث في القرآن في سياق مسارات الحجاج المبكّرة ووفقًا لمبادئ التفسير الحاخامية[٣]. وانتبه المختصون بالدراسات القرآنية لأهمية السريانية في عام ٢٠٠٠ إثر نشر كتاب: «قراءة

=

وفرضية لولينغ تفصيلًا تجعل القرآن كتابًا متراكبًا من عدّة طبقات: حيث تمثل الطبقة الأولى والأعمق فيه مجموعة ترانيم مسيحية تخصّ مسيحيي مكة فيما قبل النبي محمد، ثم طبقة ثانية تحوي التعديلات التي تمّت في عهد محمد لتنسجم مع مبادئ الإسلام الناشئ، ثم طبقة ثالثة تحوي الإضافات الإسلامية في عهد محمد، ثم طبقة رابعة تحوي تلك التعديلات التي قام بها المسلمون في ما بعد محمد أثناء تحرير الخط العربي. (قسم الترجمات).

(١) Lüling, Über den Ur-Qur'ān, Erlangen, 1971. Eng. trans. A Challenge to Islam for Reformation, Delhi: Motilal Banarsidass Publishers, 2003, 423

(٢) A. Katsh, Judaism in Islam: Biblical and Talmudic Backgrounds of the Koran and its Commentaries, New York: Sepher-Hermon, 1980; G. Newby, A History of the Jews of Arabia: From Ancient Times to their Eclipse under Islam, Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1988.

(٣) J. Wansbrough, Qur'ānic Studies, Oxford: Oxford University Press, 1977. Republished, Qur'ānic Studies, Amherst, NY: Prometheus Books, 2004

آرامية-سريانية للقرآن»، لكرِستوف لُكسنبِرج (Christoph Luxenberg). فيصحح لكسنبرج معنى وهجاء عشرات من الآي القرآني ليناسب قراءته الآرامية-السريانية، ناظرًا للقرآن على أنه في الأصل تلاوات مسيحية سريانية (قريانا في اللغة السريانية، وقرآن في العربية) أساء المفسرون المسلمون الكلاسيكيون تفسيرها(١). لكن مكمن غرابة الأمر هو أن لكسنبرج لم يحدّد نوعًا أو مدونة بعينها من الكتابات السريانية -أناجيل أو ما شابه- ليقارنها بالقرآن. والحقيقة أنه بالرغم من تقديم كتاب لكسنبرج بعض الحلول لمقاطع أثارت إشكالًا من قبله، إلّا أن به إشكالًا منهجيًّا؛ إذ يحصر تركيزه على الفيلولوجي، مع اعتباره القرآن «نصًّا أدبيًّا... يجب فكّ ترميزه وتقييمه تاريخيًّا»(٢)(٣).

(١) C. Luxenberg, Die syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache, Berlin, Das Arabische Book, 2000

(٢) A. Neuwirth. “Qur’ān and history - a disputed relationship. Some reflections on Qur’ānic history and history in the Qur’ān,” Journal of Qur’ānic Studies/Majallat al-dirāsāt al-qur’āniyya 5.1, 2003, (1-18) 8-9.

(٣) نشرنا عرضًا نقديًّا لكتاب لكسنبرج، كتبه الفرنسي فرنسوا دي بلوا المتخصص في الساميّات، ترجمة: هدى عبد الرحمن النمر، يمكن مطالعته ضمن الملف الثاني على قسم الترجمات «تاريخ القرآن». (قسم الترجمات).

وقد ظهر مؤخرًا عددٌ من المنشورات الحصيفة المعنيّة بالعلاقة بين مقاطع قرآنية معيّنة وبين السوابق السريانية المبكّرة[١]، لكننا ما زلنا في حاجة ماسّة إلى دراسة مقارِنة مباشرة بين النصّ العربي للقرآن والنصّ السرياني للأناجيل. ويتّفق القرآن في بعض مقاطعه مع الأناجيل الأربعة المعتمدة في الكنيسة (canonical Gospels)، ولكنه أكثر تناغمًا مع الفهم اللاهوتي والصياغة الدينية للإنجيل السرياني لمتّى، كما سنُثبتُ من خلال بحثنا. ففي بعض الأوقات يستنسخ القرآن اللغة والمجاز المذهلين المتميز بهما حصرًا إنجيل متّى. وستناقش هذه الورقة أنّ المقاطع والمشاهد الأساسية للإدانة في القرآن كانت ملمّة بالإنجيل السرياني لمتّى، ربما عن طريق التقليد الشفاهي لوسط القرآن. ولأغراضٍ بحثية يتعيّن علينا تجنُّب استخدام التفاسير الإسلامية الكلاسيكية، وقصر استخدامنا على القرآن والأناجيل السريانية مصادرًا، والتي نضعها في سياقها بعد ذلك.

(١) E.g., S. Griffith, "Christian lore and the Arabic Qur'ān: The 'companions of the cave' in al-Kahf and in Syriac Christian tradition," in G.S. Reynolds (ed.), The Qur'ān in its Historical Context, London and New York: Routledge, 2008, 109-38; S. Griffith, "Syriacisms in the Arabic Qur'ān: Who were those who said 'Allāh is third of three'," in M. Bar-Asher, S. Hopkins, S. Stroumsa, and B. Chiesa (eds.), A Word Fitly Spoken: Studies in Medieval Exegeses of the Hebrew Bible and the Qur'ān, Jerusalem: The Ben-Zvi Institute, 2007, 83-110

المصادر:

إنّ أقدم الأناجيل الكائنة المعترف بها في الكنيسة لم تكن مكتوبة بالسريانية، بل باليونانية. وكيفية ترجمة الأناجيل إلى السريانية، هي مسألة لم يتوصّل فيها المختصّون بالسريانية والباحثون في الدراسات الكتابية إلى إجماع. ومع ذلك فقد اتّفق الباحثون على مسألة رئيسة واحدة، هي القبول عمومًا بأن أقدم إنجيل سرياني رسمي استُخدم للصلاة والتعبُّد من جهة الكنيسة السريانية المبكرة، كان إنجيل دياتسرون لتاتيان (المتوفى في عام ١٨٥)[١] (Diatesseron of Tatian). ويُعَدّ وجود أناجيل سريانية قبل إنجيل دياتسرون موضع جدل، متمحورًا على نحو رئيس حول مسألة ما إذا كانت الأناجيل السريانية عمومًا تعكس جذورها الآرامية الفلسطينية أم لا[٢]؟

---

(١) S. Brock, The Bible in the Syriac Tradition, Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2006, 31.

بالرغم من ذلك، يمثل إنجيل دياتسرون تناغمًا إنجيليًّا (a Gospel-harmony)، إذ يجمع بين الأناجيل القانونية الأربعة في سردية واحدة. وبرغم كونه أداءً فنيًّا مُخْلِصًا للأناجيل الأربعة، فإنه يسقط المقاطع المشكلة الرئيسة ويناغم بين بيانات متضاربة. لقد فقدنا النسخة السريانية من إنجيل دياتسرون، وتبقّت لنا الترجمة العربية لأبي الفرج عبد الله بن الطيب (المتوفى سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م).

The Earliest Life of Christ Ever Compiled from the Four Gospels, Being the Diatessaron of Tatian, trans. J.H. Hill, Edinburgh: T. & T. Clark, 1910. Other parts of the Diatesseron can be reconstructed from sections of Aphrahat's Demonstrations, ed. W. Wright, London: Williams and Norgate, 1869, and Ephrem's Commentary on the Diatesseron: Commentaire de l'Évangile concordant. Ed. and trans. L. Leloir. Dublin: Figgis, 1963.

(٢) بغضّ الطرف عن تأكيدات بعض آباء الكنيسة اليونانية –مثل: هجيسيبوس (١٨٠)، وإيرينيئوس (٢٠٢ تقريبًا)، وأوريجانوس (٢٩٩)، ويوسابيوس القيصري (٣٩٩)، وإبيفانيوس السلاميسي (٤٠٣)، وجيروم (٤٢٠)– حول

=

يتّفق أغلب الباحثين على أنّ الأناجيل السريانية القديمة -التي أصبحت فيما بعد نصوصًا إنجيلية رسمية للكنيسة السريانية- تأثّرت بشكلٍ كبيرٍ بإنجيل دياتسرون[١]. والمخطوطات الموجودة للإنجيلين السريانيين القديمين -المخطوطة السينائية والمخطوطة الكيورتُنيّة-، هي ترجمات عن اليونانية، بَيْدَ أنها سريانية الطراز. وفي القرن الخامس استُبْدِل هذا النصّ ليحلّ محلّه البشيطا (أي: بسيط أو متداول)، وهي إصدار منقَّح ومُعَدَّل من الأناجيل السريانية القديمة المحاكية للأسلوب والبناء اللغوي اليوناني على نحوٍ أدقّ[٢]. علاوة على ذلك، فإنّ البشيطا تتألّف مِن كتبِ كِلا العهدين القديم والجديد بالكامل. وكانت تُعتبر أساس الحياة الدينية السريانية[٣]، ولا تزال إلى يومنا هذا نصّ

=

الزعم بوجود نصّ عبري (أي: آرامي) لإنجيل متّى (W. Schoemaker, "The Gospel according to the Hebrews," The Biblical World 20.3, 1902, 196-203)، فلا يوجد نصّ فلسطيني آرامي أصلي للإنجيل من بيئة المسيح. انظر في هذا الشأن:

R. Murray, Symbols of Church and Kingdom: A Study in Early Syriac Tradition, London: Cambridge University Press, 1975, esp. 193-94; Brock, The Bible in the Syriac Tradition, 34, 108.

(١) Black, An Aramaic approach to the Gospels and Acts, 265-66; Joosten, The Syriac language of Peshitta and old Syriac versions of Matthew, 16-17

(٢) Joosten, The Syriac language of Peshitta, 21

(٣) Brock, The Bible in the Syriac Tradition, 99-102

الإنجيل السرياني الرسمي. وفي عام ٦١٦ أُجريت مراجعة أخيرة على الإنجيل السرياني وسميت بالنسخة الهرقلية، تحت رعاية توما الهرقلي (المتوفى في عام ٦٢٧)، الذي سعى للنسج على منوال النصّ اليوناني على نحوٍ أدقّ[١].

بغضّ النظر عن النقاشات العلمية حول أصول الأناجيل السريانية، وحول مسألة وجود أو عدم وجود دليل فيلولوجي على جذور آرامية فلسطينية ترتكز عليها الأناجيل السريانية، إلّا أنّ المختصين بالسريانية بإمكانهم التعرّف على مُختلِف أشكال التورية الصوتية واللغوية، أو أنماط القافية في الأناجيل السريانية، مما يوحي بقدرٍ من النزاهة والقِدَم وليس مجرّد ترجمة. فهذه الصفات مفقودة تمامًا في الآيات اليونانية المقابلة، كما أن كون الخطاب المسيحي القديم المتأخر القائم حول الشرق الأدنى واتصال شعوب الجزيرة العربية بالمسيحية، قد تضمَّن التقاليد السريانية -وليس اليونانية-، يعدّ أحد الأمور المُسَلَّم بها[٢].

---

(١) للاطلاع على دراسة مقارنة حول ترجمات الإنجيل السرياني الأربع: (السينائية، وCuretonius، والبشيطا، والهرقلية)، راجع:

G.A. Kiraz, Comparative Edition of the Syriac Gospels: Aligning the Sinaiticus, Curetonianus, Peshîtâ and Harklean Versions, 1, Leiden: Brill, 1996.

(٢) كان الوسط القرآني على اتصال بمحيط النفوذ المسيحي السرياني الذي كان منتشرًا وشائعًا بين العرب؛ فالنفوذ المسيحي اليوناني في الشرق الأوسط اقتصر على فئات مختارة من المراكز الحضارية، مثل: أنطاكية والقدس والمدن الفلسطينية الساحلية. لمزيد من المعلومات انظر:

=

يتميز إنجيل متّى عن سائر الأناجيل نظرًا لما أشار إليه بارت إرمان (Bart Ehrman) «لقد استخدم متّى مصادر [خاصّة به] خالقًا للمسيح صورة مميّزة، كموسى جديد يُقَدِّم للقوانين اليهودية تفسيرًا ذا سلطة»[(١)]، وتتبدّى رؤية مؤلّف النصّ الكونية اليهودية المسيحية المُوسَويّة في مواضع عِدّة من إنجيله. ذلك بما فيه بَدْؤه سَرْده بسلسلة نَسب المسيح مشابهة للعهد القديم، والتحفّظ في استخدام لفظ (الإله God) واستخدام بديلًا عنه (الرب Lord)، كذلك جَعْلُ (الجبل) مكانًا لإلقاء المسيح موعِظَته يوازي موقف موسى على الجبل، وإصراره على أنّ المسيح إنما جاء لينفذ الناموس، وتشديده على الحكم الإلهي (إنجيل متّى، إصحاحات: ١، ٥-٧، ١٠-١٢)[(٢)]. كما يُرَجَّح أنّ إنجيل متّى هو أكثر الأناجيل قراءة في الشرق الأدنى القديم المتأخّر. فقد كان الإنجيل السرياني لمتّى (وسندعوه بإنجيل متّى من الآن فصاعدًا) شائعًا جدًّا إلى درجة أن التعبير

=

D. Cook, "The beginnings of Islam in Syria during the Umayyad Period," Ph.D. diss., University of Chicago, 2002; W. Bauer, Orthodoxy and Heresy, Philadelphia: Fortress, 1971.

(١) B. Ehrman, The New Testament: Other Early Writings, New York and Oxford: Oxford University Press, 1998, 92

(٢) الاقتباسات من الإنجيل من الترجمة NRSV باستثناء بعض المواضع التي ترجمت فيها كلمات من الإنجيل السرياني إلى الإنجليزية. [المؤلف].

الموسَوي اليهودي المسيحي تردّد صداه فيما بعدُ في الاصطلاح العربي الخاصّ بالنصّ المقدّس الكبير التالي له -القرآن.

كما أنّ أصول القرآن وعلاقتها بالإسلام واللغة العربية الفصحى ليست واضحة تمامًا. فعلى الرغم من وجود مصادر غير مسلمة من بلادٍ مجاورة تشير بطريقةٍ ما إلى الإسلام[١]، فإنّ تاريخ أقدم دليل موثَّق على القرآن يرجع إلى حوالي ٧٢هجريًّا/ ٦٩٢ ميلاديًّا[٢]. وأقرب مصدر كتابي إسلامي بحوزتنا حول حياة محمد (المتوفى في عام ١٠هـ/ ٦٣٢م) وحول نزول القرآن، هو سيرة ابن إسحاق (المتوفى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م تقريبًا)، كما أوردها ابن هشام (المتوفى في سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م). كما أن الصورة والمدى اللذَيْن كان عليهما القرآن جزءًا من خطاب ديني متنوع -يشمل *الكفار والحنفاء* واليهود والمسيحيين والصابئة وفِرَقًا أخرى- هي مسألة بحثٍ واكتشاف مستمرين. كما تعتبر ندرة المعرفة الفعلية بأصول القرآن وتعددية سياقاته إحدى المشاكل التي سيستمر الباحثون في التصدي لها لبعض الوقت.

---

(١) R. Hoyland, Seeing Islam as Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam, Princeton: Darwin Press, 1997

(٢) Kessler, "'Abd al-Malik's inscription in the Dome of the Rock: A reconsideration," JRAS, 1970, 2-14

وبرغم كَون تاريخ النصّ المقدّس الإسلامي مسألة إشكالية، إلّا أنه أمرٌ عادي بالنسبة إلى ظاهرة الكتاب المقدّس والوحي، وليس بأمرٍ استثنائي[١]. وكذلك الحال بالنسبة إلى إشارة الكتب المقدّسة للشرق الأدنى العتيق والقديم المتأخر (بما فيها التوراة والعهد الجديد) إلى إسناد أو اقتباس، أو بطريقةٍ ما تأسيس اللغة المقدّسة والتعبير الديني عن التقاليد أو الحضارات الطائفية السابقة =يُعَدّ أمرًا شائعًا بالنسبة إلى ظاهرة النصّ المقدّس. فضلًا عن ذلك فقد تضاعفت صعوبة دراسة الأصول القرآنية في بعض الأوقات نتيجةً لنزعاتٍ اختزالية في دراسة القرآن[٢]. فالقرآن جزء من سياقات متنوعة ولا يمكن اختزاله في أيّ سياقٍ مُفرد منها[٣]. ومع ذلك فقد فتّش بعض الباحثين عن نصّ قرآني أصلي (ur-text) موغل في القِدَم، أي: سابق على القرن الهجري

---

(١) Jeffery, The Qur'ān as Scripture, 89

(٢) بإمكان المرء تفسير إعادة الظهور الدوري للدراسات القرآنية الاختزالية في الوقت الحالي كاستمرار لإرث المنهجية الاختزالية العلمية خاصة جيجر.

راجع: V. Robbins and G. Newby, "A prolegomenon to the relation of the Qur'ān and the Bible," in idem (ed.), Bible and Qurʾān: Essays in Scriptural Intertextuality, 24-25.

بالرغم من المعرفة الموسوعية بالنصّ المقدس العبري والتفسير اليهودي البادية في دراسة جيجر، إلّا أنها لا تضع في اعتبارها تعقد التفاعل بين العناصر العربية واليهودية، ولكن تركّز بالكامل على (تقفّي أثر الأوصل) والاستدلال على التأثير اليهودي المباشر على القرآن. ويلاحظ جيفري هذه المشكلة في الدرس الغربي. Jeffery, The Qur'ān as Scripture, 69.

(٣) Griffith, "Christian lore and the Arabic Qur'ān," 116.

الأول/ الميلادي السابع للوسط المُحَمّدي، بينما ينشغل الباحثون الآخرون بسياقٍ لاحق. ولا يمكن استخدام تلك الخلافات و(الفوضى)[١] الناتجة أساسًا لبحثنا. ولكن باشتغالنا على النصّ العربي للقرآن كما وصل إلينا، مع فصلنا له عن الأدبيات الإسلامية اللاحقة، ومع احترامنا لأصالة القرآن بصفته كتاب مقدّس فريد ضمن السياق المتنوع لوحي الشرق الأدنى القديم المتأخر عمومًا، وجزيرة العرب في القرن السابع خصوصًا، فإنّنا سوف نستدلّ على أساسٍ أكثر فائدةً لنبدأ به تحقيقنا. وهذه الورقة تتبع فرضية غريفِث (Sidney Griffith)[٢] القائل: *«[إن] القرآن نصّ مقدّس قائم بذاته، مُشتبكٌ في حوارٍ مع النصوص المقدّسة السابقة عليه من خلال التقارير الشفاهية المُعممة بين متحدثي العربية من اليهود والمسيحيين في بيئة القرآن نفسها»*[٣].

---

(١) Reynolds, "Qur'ānic studies and its controversies," in idem (ed.), The Qur'ān in its Historical Context, 18, quotations Neuwirth

(٢) سيدني غريفث (١٩٣٨-)، أستاذ الدراسات المسيحية المبكّرة في الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، وقد عمل طوال مسيرته كأستاذ زائر في أكثر من جامعة، مثل الجامعة العبرية وجامعة جورج تاون، مهتم بالمسيحية العربية، والرهبانية، والعلاقات المسيحية الإسلامية في العصور الوسطى، من أشهر كتبه في هذا السياق: الكنيسة في ظلّ المسجد، المؤسسات الكنسية تحت حكم الإسلام، ٢٠٠٨، وهذا الكتاب ترجم بالفعل، حيث ترجمه: هشام شامية، وصدر عن المركز الأكاديمي للأبحاث، كندا، ٢٠١٨، وكتابه: الكتاب المقدّس باللغة العربية، نصّ (أهل الكتاب) المقدّس بلغة الإسلام، ٢٠١٣. (قسم الترجمات).

(٣) Griffith, "Syriacisms in the Arabic Qur'ān," 89

ووضع كلمات غريفِث في الاعتبار، إلى جانب فهمٍ أساسيّ أنّ المشهد الديني والثقافي واللغوي في الجزيرة العربية في القرن السابع كان على اتصالٍ لا فكاك منه دام لقرون بمجتمعاتٍ في الشام وبلاد الرافدين والحبشة وغيرها من الأماكن، لا يدفع المرء فحسب لتجنب النظريات الاختزالية مُفْرِطة التبسيط حول (تأثيرات) مباشرة أو خطيّة، بل يكشف أيضًا عن حقيقة التعقيد والتشعّب والتنوّع وأصالة الأفكار المتدفقة الحاضرة في (السياق المواضيعي thematic context) للقرآن[١].

وقد أسفرت قرون من الامتزاج بين الآراميين والعرب[٢] عن علاقة وثيقة بين المجموعات المسيحية المتحدّثة بالسريانية وبين أوساط بدو وحضر جزيرة العرب مثل الحجاز، وسمح هذا التفاعل في مرحلة مبكّرة بتقبل الآراميين السريانيين الطوائف الوثنية العربية[٣]، وتقديم اليهودية إلى جزيرة العرب[٤]،

---

(١) Griffith, "Christian lore and the Arabic Qur'ān," 111

(٢) المرجع نفسه، ص١١٦. ولمزيد من المعلومات حول العلاقة العربية الآرامية القديمة، راجع:

Trimingham, Christianity among the Arabs, 7-20, 41; J. Teixidor, The Pantheon of Palmyra, Leiden: Brill, 1979, 13-14, 40, 82; J. Healey, The Religion of the Nabataeans, Leiden; Boston: Brill, 2001, 32; J. Retsö, The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads, London; New York: Routledge, 2003, 129-32, 174-77, 218, 286. See also Q 106:2.

(٣) Teixidor, The Pantheon of Palmyra, 17-24, 64; H. Drijvers, Cults and Beliefs at Edessa, Leiden: Brill, 1980, 146-76.

(٤) Katsh, Judaism in Islam, xxi-xxii

واعتناق بعض العرب المسيحية فيما بعد[١]؛ ولو أنّ المسيحيين العرب تعلموا أدبيات الكنائس السريانية التعبُّدية والاعترافية لدمجوا بين حكمة الأناجيل السريانية وبين التقليد الشفاهي للعُرف العربي القديم. وكانت الخطوة التالية في التطوّر المُتجاوِز للتقليد الشفاهي هي قيام القرآن بدور المستودع الكتابي والثقافي للعرب، ومع ذلك فإنّ الصورة الذاتية للقرآن تقدّم دعوى صريحة بكونه أول كتاب عربي. ورغم رؤية القرآن نفسه استمرارًا للنصّ المقدّس اليهودي والمسيحي[٢]، إلّا أنه يشير إلى حداثته العربية الكلامية الفريدة [سورة النحل: ١٠٣، سورة الشورى: ٧][٣]. ولذلك فإنّ مِنْجانا يشير إلى أن (مؤلف) أول كتاب عربي لم يخاطر بصوغ مصطلحات جديدة: *«فقد كان الأفضل استخدام كلمات معبرة عن فكرة الإسلام الجديدة يجدها مستمعوه مفهومة، وقريبة من لغته التي أصبحت لغة دينية وكهنوتية في المجتمعات شديدة التنظيم*

---

(١) Trimingham, Christianity among the Arabs, 243-55.

راجع أيضًا رسالة غلاطية ١:١٧.

(٢) Jeffery, The Qur'ān as Scripture, 67-68; Q 3:3

(٣) كما تقول الآية ١٢ من سورة الأحقاف: {وَمِنْ [قَبْلِهِ] كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ [مُصَدِّقٌ] لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ}.

انظر أيضًا:

Thyen, Bibel und Koran, 221; C. Gilliot and P. Larcher, EQ, "Language and style of the Qur'ān," 3:109.

والأبرشيات والأديرة، قبل قرون من مولده وأنصاره الذين أحاطوا به من جميع الجهات»[١]. واللغة التي يشير إليها مِنجانا هي السريانية بكلّ تأكيد؛ ولذلك لا تكون مسألة أن القرآن يعكس كثيرًا من السمات اللغوية والمواضيعية للأناجيل السريانية مخالفة لتوقعاتنا. إحدى تلك السمات هي لغة الإدانة، وهو ما سنتناوله فيما يأتي.

(١) منجانا: "Syriac influence on the style of the Kur'ān,"، ص ٧٨.

سياق الإدانة:

إنّ الصورة الذاتية المشتركة بين كلّ من القرآن وإنجيل متّى مناصِرَين لجوهر القانون اليهودي وناقدَين للسلطة اليهودية، التي تعتبر محض معرفة بنصّ القانون وإساءة استخدام للسلطة =هي السياق المُتجلّية فيه لغة الإدانة المشتركة. وقد يكون لهذه اللغة شكل مباشر، كما في اللَّعن والوعيد بالهلاك الوشيك، وشكل غير مباشر كما في الوصف العدائي أو الناقد أو الذامّ لأشخاصٍ أو جماعاتٍ معيّنة. وبمعاتبة اليهود يكون القرآن قد أسهم في أكبر خطاب طائفي مثير للجدل في زمنه. ويتّضح هذا في الأعمال السريانية الوعظية، مثل برهان السبت (Demonstration against the Sabbath) لأفراهاط الفارسي (المتوفى في سنة ٣٤٥ تقريبًا)، وغيرها من المواعظ المعارضة لليهود كالتي كتبها كلّ من إسحاق الأنطاكي (المتوفى في سنة ٤٦٠ تقريبًا) ويعقوب السروجي (المتوفى في سنة ٥٢١)[١]. والقرآن يُدِين اليهود، والشخصيات ذات السلطة على وجه الخصوص، بكثير من الجرائم، وقد يكون هذا نتيجة للعلاقة الكَيْدية بين محمد والفِرَق اليهودية المعاصرة لحياته؛ لذلك فبينما تعترف بعض

(١) أفراهاط، البرهان الثالث عشر. وللمعلومات حول إسحاق الأنطاكي، راجع:

S. Kazan, “Isaac of Antioch's Homily against the Jews,” Oriens Christianus 45, 1961, 30-53; Jacob of Serūgh, Homélies contre les juifs, Patrologia Orientalis 174, ed. and trans. M. Albert, Turnhout, Belguim: Brepols, 1976.

المقاطع بميراث (بني إسرائيل) أو بكون (الذين هادوا) شعب الله المختار، أو بتفضيلهم ومباركتهم في النصّ المقدّس [سورة البقرة: ٤٧-٦٢][(١)]، فقد أظهرت مقاطع أخرى عبارات الإدانة الموجهة إليهم، وأحيانًا ما كانوا فيها جنبًا إلى جنبٍ مع (النصارى) [البقرة: ١٢٠، المائدة: ١٥، لقمان، التغابن، الانفطار]، إلخ.

وغالبًا ما يجسّد القرآنُ تمردَ وعصيان بني إسرائيل المصاحبين للنبي موسى [سورة البقرة: ٥٤، ٦١، ٧١، ٩٢. سورة المائدة: ٢٠]، إلخ، ومع ذلك تشير إحدى آيات سورة المائدة إلى حيدٍ غير مألوف ومثير للاهتمام عن هذا النمط: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[المائدة: ٧٨][(٢)]، فبالإضافة إلى مشابهة هذه الآية بنظائر لها في المزامير (١٠: ٣، ٧)، فهي أيضًا تتماشى مع جوهر إنجيل

(١) يجدر بنا الإشارة إلى أن كلمة اليهود لم تستخدم في أيّ إشارة جيدة. راجع [البقرة: ١١٣، ١٢٠. المائدة: ١٥، ٥١، ٨٢. التوبة: ٣٠].

(٢) لمزيد من المعلومات حول اللعنات القرآنية البادئة بـ(لعن) واستخدامات مبكرة للآرامية النبطية، راجع:

J. Healey, "The realities behind tomb inscriptions: Imagining Nabataean law," in Z. al-Salameen (ed.), Proceedings of the First Nabataean Symposium, forthcoming; idem, "Fines and curses: Law and religion among the Nabataeans and their neighbours," in R.G. Kratz and A. Hagedorn (eds.), Law and Religion in the Eastern Mediterranean, forthcoming.

متّى، حيثُ جاء فيه التعريف بالمسيح على مقربة شديدة من داود، وحيث وجّه إهانات شنيعة للسلطات اليهودية -الفريسيون والصدوقيون-[١]. كما أن يسوع المسيح سليل لداود (لوقا ١، يوحنا ٧: ٤١)، إلخ. وقد وُلِد في مدينة داود (لوقا ٢)، ويُدعى «ابن داود»، ويشير إلى أمثال تستشهد بسلطان داود (متّى ٩: ٢٧، مرقس ٢: ٢٥، لوقا ٦: ٣). فالإنجيل برواية متّى يجد العلاقة بين يسوع وداود واضحة لدرجة أنه يُفتتح بـ«كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْراهِيمَ» (متّى ١:١).

وتتعاظم مكانة داود لدى المسيحيين السريان من العصر القديم المتأخّر، وربما كان لرمزية داود للنبوّة العظيمة والتوبة المتذلّلة في الكنائس السريانية دورًا فاعلًا في الإبقاء على قوة رمزيته في الوسط القرآني. ولا تبدأ الكتابات السريانية بمجرد تلاوة من المزامير (كتاب داود)، بل إنّ بعض المؤلفين السريانيين، مثل يعقوب السروجي، يُجِلّون داود إجلالًا استثنائيًّا[٢]. وقد تكون

(١) نجد في القرآن إدراكًا جيدًا للطائفية اليهودية المنتشرة في زمن المسيح في سورة [الزخرف: ٦٣]: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

(٢) راجع معنى وسياق صفات، مثل: داود المختار dawîd gâbyâ في كتاب: "Homélies contre les Juifs," 136-81. ليعقوب السروجي. فهذا الاستخدام قد يكون مستوحى من الأناجيل السريانية كما في =

الإشارة المتكرّرة إلى النسب الداودي للمسيح في إنجيل متّى، ظلت موجودة بين متحدثي السريانية من المجتمعات المسيحية حتى وصلت إلى جزيرة العرب، فتركت بدورها في سورة المائدة إشارةً مقتضبة لداود بالاقتران مع إدانة بني إسرائيل.

=

متّى ٢٤: ٢٢، ٢٤، ٣١، أو مرقس ١٣: ٢٠، ٢٧. كما أنه يتوازى مع الاستخدام العربي المذكور في سور: [آل عمران: ١٧٩، الأنعام: ٨٧، القلم: ٥٠]، إلخ.

ضد الرياء:

يمثل الرياء أكبر ذنوب الفريسيين في الأناجيل، فيبرز رياؤهم تمامًا في إنجيل متّى بأعمالهم الخيّرة المُعلنة، ويقول النصّ السرياني لإنجيل متّى بصدد الفريسيين (Pharisees, *wa kulhûn ʻabdayhûn ʻâbdîn dnêṯhazûn labnay anâšâ*): «وَكُلّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ» (متى، ٢٣: ٥)[١]؛ لذلك فإن المسيح يحذِّر أنصاره قائلًا (ḥûrû dêyn bzedqâtkûn dlâ têʻbdûnêh qdâm bnay anâšâak dtiṯhazûn lhûn): «احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ» (متى، ٦: ١). وكلمة "abdayhûn" السريانية من الاقتباس الأول مُشتقة من "bâdêʼ" تعني (أعمال)[٢]. وهي مشابهة للكلمة العربية (*عبادة*) وهي كلمة نموذجية تأتي في القرآن والتراث الإسلامي اللاحق بمعنى (الأعمال الدينية) أو (أفعال العبادة) [سورة الأعراف: ٢٠٦، سورة يونس: ٢٩]، إلخ. ثم يُشار إلى إحدى تلك العبادات في الاقتباس الثاني بكلمة "zêdqâtkûn" المشتقة من "zêdqâtâ" أي: (الأعمال الحسنة/ صدقة)، كما أشير إليها في القرآن *بالصدقة* أو *الصدقات* [سورة البقرة: ٢٦٣، ٢٧٦]، إلخ[٣]. وفي إنجيل متّى، يجب أن تتم

(١) ترجمة الآيات السريانية كلها من اجتهاد المؤلف.

(٢) J. Payne-Smith, A Compendius Syriac Dictionary, Oxford: Clarendon Press, 1979, 397

(٣) المرجع نفسه، ١١٠.

العبادات وأعمال البِرّ والأعمال الخيّرة كالتصدُّق أو حتى الصلاة، بإخلاص، أي: سرًّا[١]. فهل يمكن أن تكون إشارة القرآن إلى أن الأحبار والرهبان: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[سورة التوبة ٣١: ٣٤]، انعكاسًا لدرايته بأن الفريسيين تصدّقوا علانيةً ادّعاءً ورياءً، وليس في سبيل الله؟ يزداد رجحان هذا الاحتمال في آية من سورة [النساء: ٣٨]: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...﴾. وكلمة (رئاء) هي ترجمة اقتراضية (calque) لـ" *dnêṯḥazûn labnay anâšâ*": «لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ النَّاسُ»، حيث حالة المفعولية لـ(رئاء) تنقل شرطيَّة الإحساس بالهدف الموجودة في (d في كلمة dnêṯḥazûn). فضلًا عن ذلك، يرى فلهلم رودولف -وهو مُحِقّ- صدًى للإصحاح السادس من إنجيل متّى في الآيات من الرابعة حتى السابعة من سورة الماعون: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾[٢]. وبغضّ النظر عن اختلاف بنية الجملة ومفرداتها، فإن هذه الآيات القرآنية تعكس وعيًا شديدًا بوصايا المسيح في إنجيل متّى.

---

(١) Khouri, "Selected ethical themes," 108, 212-15

(٢) Rudolph, Die Abhängigkeit des Qorans, 13. Ahrens, "Christliches im Qoran," 162; Speyer, Die biblischen Erzählungen im Qoran, 450-51, 458; Thyen, Bibel und Koran, 193

ضد الكتَبة:

لقد جاء الرياء في الأناجيل جامعًا بين الفريسيين والكتَبة، المُستحقين للإدانة المتكررة. فيلعنهم المسيح "wây lkûn sâfrê waprîšê nâsbay bapê": «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ!» (متّى ٢٣. لوقا ٦، ١١)[١]. ورغم عدم ظهور كلمة *sâfrê* (الكتَبة) السريانية في القرآن، إلّا أنّ إشارته إلى اليهود في هذا الشأن ارتبطت بـ﴿ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[سورة الجمعة: ٥]. ويوجد هنا أمران مهمان؛ **الأول**: أن هذا الوصف يبدو هجومًا على الكَتَبة اليهود؛ نظرًا لأنّ الكَتَبة هم مَن قد يكونون حاملين للكتب. **والثاني**: بالرغم من عدم إشارة آرثر جيفري إليه- أنّ الكلمتين (*sāfre*) *وأسفار* ذواتا أصل سرياني، إذ عرّبت الثانية في مرحلة مبكرة، نظرًا لظهورها في القرآن على صيغة جمع التكسير. وبِناءً على ذلك فإن إدانة إنجيل متّى للكتَبة (*sāfre*) القادمين من خلفية فريسية على ما يبدو، وربط القرآن بين (الأسفار) والهجوم على الكتبة اليهود، يكونان جزءًا من خطاب إدانة واحد. ويدعم القرآن تلك الدعوى بفضل موقفه الهازئ بالكَتَبة، إذ يقول عن اليهود في [سورة البقرة: ٧٩]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

(١) قارنها بآيات الإصحاح ١٢: ٣٨-٤٠ من إنجيل مرقس.

فرفْض القرآن (أولئك الذين يكتبون الكتاب بأيديهم) لا يعكس مجرد وعي بتصحيح النصوص اليهودية والمسيحية المقدّسة السابقة وترجمتها وتنقيحها وتحريرها، بل هي إدانة أكثر مُبَاشَرةً للكتَبة اليهود(١). كما أن صيغة الإدانة في القرآن (ويل + لـ + اسم موصول) تعكس نظيرتها في الإنجيل السرياني لمتّى (وي لي + ضمير)(٢). كما يمكن استنتاج علاقة أخرى من صيغة الإدانة المميزة المقصودة المكرّرة هذه؛ إِذْ تكرر لَعْنُ المسيح الفريسيين في الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متّى وحده، نحو سبع مرات شبه متتاليات على صيغة: «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ» (انظر أعلاه). وبالمثل،

---

(١) تُظْهِر آيات قرآنية أخرى أن التشكيك بالكتبة والمُحرفين اليهود يؤكد أنها موتيفة قرآنية واضحة؛ فالقرآن في الآية ٤٦ من سورة النساء يوضح: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

للاطلاع على معلومات أكثر حول استخدام {راعِنا} راجع: Jeffery, FV, 136.

(٢) Smith, A Compendius Syriac Dictionary, 107.

كلمة (وي) موجودة في اللغة العربية كمرادف قليل الاستخدام لـ(ويل). وفي ظلّ الظنّ بوجود أصل آرامي سرياني محتمل للكلمة، فإن زاميت يرى أن هذه الهيئة للكلمة تأتي بمثابة تأكيد.

While suspecting a possible origin from Syriac-Aramaic, Zammit proposes that this form is an abbreviation. M. Zammit, A Comparative Lexical Study of Qur'ānic Arabic, Leiden: Brill, 2002, 443, 616. The Matthean-Qurʾānic context of the phrase's usage suggests that the Syriac phrase wây li over an extended period of oral transmission merged into the Arabic wayl, leaving traces of the original Syriac wây in way.

يكرّر القرآن اللعن على صيغة: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات عشر مرات، وبغضّ النظر عن تفسير هذه الآية، أو تحديد مَن هم أولئك المكذبون، فلا بد أن تلك الصيغة من اللعن كانت مفهومة جيدًا في الوسط الطائفي للقرآن. وبناءً على المضمون -أي: إدانة الكَتَبة القادمين من خلفية حاخامية فريسية أو ماسورتية-، وعلى الأسلوب -أي: الاستخدام المتطابق لتعبير (ويل لِـ) وتكرارها المنتظم- فإنّ لغة الإدانة المشتركة بين النصين تظهر بوضوح مرة ثانية.

ضد قتل النبيّين:

يُظْهِر تفجُّر غضب المسيح على الفريسيين في الإصحاح الثالث والعشرين من متّى، سببًا آخرًا لإدانتهم في الآية القائلة (mashdîn antûn ‘al nafškûn dabnayâ antûn daqṭalû lanbîyê): «فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ (٣١)... كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ (٣٣)»[١]. فيُقال في المخطوط السينائي (mashdîn antûn ‘al nafškûn) أي: «فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[٢]. كما تُعَد الآيات (متّى ٢٣: ٣٣-٣٧) من المقاطع المميزة من إنجيل متّى، التي لها إشارات غير مباشرة في إنجيلي مرقس ولوقا[٣]. ويعتبر قتل الأنبياء وتكذيب رسالاتهم من الملامات والاتهامات المتكرّرة في القرآن التي

(١) في هذا الصدد راجع إنجيل لوقا الإصحاح ١١: ٤٧-٤٨. الذي لا يتشابه مع النصّ القرآني لهذه الدرجة.

(٢) Kiraz, Comparative edition of the Syriac Gospels, 1:361

(٣) راجع من إنجيل مرقس، الإصحاح ١٢: ١-٥، ولوقا الإصحاح ١١: ٤٩، القائل: «لِذَلِكَ أَيْضًا قَالَتْ حِكْمَةُ اللهِ: إِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا، فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ وَيَطْرُدُونَ»، والإصحاح ١٣: ٣٤ القائل: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!».

وراجع: Thyen, Bibel und Koran, 123

لاحظها الباحثون منذ أمدٍ طويل[١]، والتي تقفّى شباير أثرها حتى إنجيل متّى[٢]. وعلى نحوٍ أكثر تحديدًا، فهناك آيتان قرآنيتان تعكسان لغة إدانة قتَلَة الأنبياء بنفس أسلوب إنجيل متّى؛ إحداهما تتمثل في القول: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[الأنعام: ١٣٠، الأعراف: ٣٧]. والثانية في: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١][٣]. وصحيح أنّ تعبيري (الشهادة على النفس) و(قتل الأنبياء) ظهرَا أولًا في الكتاب المقدّس العبري[٤]، بَيْد أن هناك سببًا لمناقشة العلاقة الوطيدة بين لغة القرآن ولغة إنجيل متّى في هذا الصدد؛ إذ يُعَدّ الجمع بين التعبيرين العربيين: {شَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ} و{يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ}، انعكاسًا للتعبير السرياني القائل: (mashdîn antûn ‘al nafškûn

(١) للإدانة أوجه متعددة في الآية ١٥٥ من سورة النساء، كما تشير إلى الآيات ٢٦: ٤١ من سفر اللاويين. وبخصوص هذا الشأن، راجع: Horovitz, Koranische Untersuchungen 186. وراجع أيضًا سورة البقرة: ٩٨، سورة آل عمران: ١٨٤، سورة يس: ١٨، إلخ.

(٢) فيما يخص الآية ١١٢ من سورة آل عمران، راجع: Die biblischen Erzählungen im Qoran, 365, 417-19

(٣) سورة آل عمران: ١٨١، سورة النساء: ١٥٥.

(٤) سفر التثنية ٣١: ١٩، سفر نحميا ٩:٢٦، سفر عاموس ٢:١٢ و ٧:١٢-١٦. يقدم سفر أرميا ٢: ١٢-١٦ السياق الكامل وسردية إدانة قتلة الأنبياء. كما يمكنك الاطلاع على هذه النقطة في: Jeffery, The Qur’ān as Scripture, 26

dabnayâ antûn daqṭalû lanbîyê). والسمة الأخرى التي تشير نوعًا ما إلى الاعتماد القرآني على التقليد العائد إلى إنجيل متّى، هي التشابه بين قول القرآن: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [أي: النار]، وقول إنجيل متّى «كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟».

ضدّ الصُمّ والعُمي والقاسية قلوبهم:

كثيرًا ما يصف القرآنُ أهلَ النار، فيقول في سورة *الأعراف* مثلًا: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ ...(١٧٩)﴾، ويتكرّر في سورة *فُصِّلت*: ﴿...وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى (٤٤)﴾. ونجد مثل هذا الوصف في إنجيل متّى: «لأَنَّ قَلْبَ هذَا الشَّعْب قَدْ غَلُظَ، وَآذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا، وَغَمَّضُوا عُيُونَهُمْ (êt‘bay lêh gêr lbêh d‘ammê hânâ wa bidnayhûn yaqîrâyît šam‘û wa ‘aynayhûn ‘amṣû)؛ لِئَلَّا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ، وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ» (متّى، إصحاح ١٣ : ١٥). فتكون هذه الآية في آخر الأمر اقتباسًا من سفر أشعياء[(١)]، مما يترك احتمالًا بأن الآية القرآنية تعكس اللغة السريانية لإنجيل متّى أو العبرية لسفر أشعياء. وعمومًا فإن التشابه المفرداتي والتركيبي بين النصّين السرياني والعبري أقوى بكثير، مما يضعف احتمال اتصال النصّ العربي بالعبري[(٢)]؛ فالقول القرآني: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ﴾ يُعَدّ ترجمة

(١) قارن سفر أشعياء ٦:١٠ بسورة يونس : ٨٨.

(٢) تختلف العبرية في سفر أشعياء ٦:١٠ قليلًا عن اللغة في الإنجيل برواية متّى والقرآن. فينص السفر: «غَلِّظْ قَلْبَ هذَا الشَّعْبِ وَثَقِّلْ (*hakbed*) أُذُنَيْهِ وَاطْمُسْ عَيْنَيْهِ، لِئَلَّا يُبْصِرَ بِعَيْنَيْهِ وَيَسْمَعَ بِأُذُنَيْهِ وَيَفْهَمَ بِقَلْبِهِ، وَيَرْجِعَ فَيُشْفَى».

اقتراضية للقول السرياني (bidnayhûn yaqîrâyît šam‘û, lit): «آذَانَهُمْ قَدْ ثَقُلَ سَمَاعُهَا». فكلمة (وَقْر) التي تعني ثِقَل، تعكس الكلمة (الحال) السريانية yaqîrâyît، كذلك فإن الكلمة العربية (عَمًى) تقابل تقريبًا معنى الكلمة السريانية ,maṣ‘ أي: (إغماض العيون)[١].

وينسج كلّ من القرآن وإنجيل متّى على منوال النصّ العبري المقدّس في تكراره لموتيفة القلوب القاسية، التي تُعَدّ في الأصل سمة للفرعون المتعنت الذي لم يسمح لقوم موسى بالذهاب. فالمسيح أيضًا يهاجم الفريسيين مستخدمًا هذه الموتيفة (*qašyût labkûn*) : «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ» (متّى ١٩: ٨). وعلى نحو مماثل، فالقرآن بعد سرده لواقعة قديمة تحكي عصيان بني إسرائيل، يروي في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ [٢] قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾[٣]. وبرغم التكرار

---

(١) Smith, A Compendius Syriac Dictionary, 418.

(٢) يقترح آرثر جيفري في كتاب Materials for the History of the Text of the Qur’ān: أن هجاء الكلمة الثانية قادم من مصحف مختلف. ص٢٧، ١١٨.

(٣) سورة البقرة: ٧٤. راجع أيضًا في هذا الشأن [سورة النساء: ١٥٥] حيث استخدم تعبير {قُلُوبُنا غُلْفٌ} الذي يعتبر إعادة صياغة للصورة المستخدمة في سفر إرميا ٩: ٢٦ «غُلْفُ الْقُلُوبِ». انظر المناقشة في: Geiger, Was hat Muhammed, 8; Thyen, Bibel und Koran, 203.

الواضح لهذه الموتيفة في الكتاب المقدّس العبري، فليست اللغة العبرية هي المنعكسة في القرآن، بل السريانية[١]. بناءً على ذلك -بصرف النظر عن الحالة الاسمية لكلمة (*qašyût*) السريانية والحالة الفعلية لكلمة (قسَت) العربية، يتكرّر توضيح الصياغة المتطابقة تقريبًا باشتراك القرآن وإنجيل متّى في لغة الإدانة.

(١) يقال في سفر الخروج ٤: ٢١: «لكِنِّي أُشَدِّدُ قَلْبَهُ». انظر أيضًا سفر يشوع ١١: ٢٠، ١، سفر صموئيل ٦:٦، إلخ. وراجع: Zammit, A Comparative Lexical Study of Qur'ānic Arabic, 339

الإدانة في يوم القيامة:

يمثّل يوم القيامة الأرض المشتركة الأخيرة للغة الإدانة في كلٍّ من القرآن والإنجيل، ويوم القيامة كغيره من الموتيفات الدينية، مستحضر من الكتاب العبري المقدّس (المزامير ٨١: ٤-٥، أشعياء ٦٦: ١٥-١٧، ملاخي ٤: ١-٢)، فبعض الصور المميزة عن يوم القيامة تعتبر فريدة بالنسبة لإنجيل متّى، فالمشهد الواصف ليوم القيامة في الإصحاح الخامس والعشرين من متّى يجسد أهمية العدل الإلهي المثالي الذي يزعم (تور أندريه) أنه من المبادئ الجوهرية للكنيسة السريانية المبكرة[١]. وكما يرى المتخصّصون بالقرآن، فهذا المقطع يتكرّر في الصورة الأُخروية الحيّة للقرآن[٢]. يبدأ هذا المقطع في إنجيل متّى بـ«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ» (متّى ٢٥: ٣١)[٣]، فموضع ابن الإنسان هاهنا

---

(١) Andrae, Les origines de l'islam et le christianisme, 105-6.

(٢) Rudolph, Die Abhängigkeit des Qorans 15, 17; R. Bell, A Commentary on the Qur'ān, ed. C.E. Bosworth and M.E.J. Richardson, Manchester: University of Manchester, 1991, 2:539; R. Paret, "Sure 107," in R. Paret (ed.), Der Koran, Darmstadt: Wissenschaftliche Buchgesellschaft, 1975, 192-96

(٣) Thyen, Bibel und Koran, 197، يظن تاين أن هذه الآية قد أثّرت على الآية ٥٥ من سورة آل عمـــــران: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ =

والذي يشير إلى المسيح حكمًا، يحلّ الإله بذاته محلّه في القرآن؛ لذلك يقول: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [سورة الحاقة: ١٧]، ويزيد إنجيل متّى: «وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (متّى ٢٥: ٣٢)، كما يقول القرآن: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٧][(١)]. ويزيد القرآن في موضع ثانٍ منه في هذا الشأن: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾[الحج: ٦٩]، بينما يكمل متّى: «فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ» (متّى ٢٥: ٣٣)[(٢)]. وفي سورة الواقعة يجعل اللهُ الناسَ في مجموعتين، خيارهم: (أصحاب اليمين)، وشرارهم: (أصحاب الشمال)؛ كالأماكن التي شغلتها الخراف والجِدَاء من إنجيل متّى. ويربط المتخصصون

=

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

- ترجمة الآية: يوسف علي.

(١) انظر في سورة الإسراء: ٧١: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾.

(٢) لا يجب خلط هذا المشهد بإشارات للمشهد الذي تُصوّر فيه السلطة الإلهية ليسوع، وليس فصل الناس يوم القيامة، ففيه ابن الإنسان جالس على يمين الربّ كما ذكر في إنجيل مرقس ١٢: ٣٦، ولوقا ٢٢: ٦٩.

بدراسة القرآن بين هذه الآية وآياتٍ من سورة البلد تذكُر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، بالإصحاح الخامس والعشرين من متّى[١]، الذي يوضح بالقول: «ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ (malkâ) لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ (ymînêh): «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ (‘âlmâ)» (متّى ٢٥: ٣٤)[٢]. وفي القرآن سُمِّي الله باسم {المَلِك} [سورة المؤمنون: ١١٦، سورة طه: ١١٤]، وكما في متّى، دعا الصالحين: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾[سورة الزخرف: ٧٠]، وتُحْصَى في إنجيل متّى الأعمال الصالحة التي يُجزى عليها الأبرار، كإطعام وسُقيا المساكين، وإيواء الغريب، وإلباس العراة، ورعاية المرضى وزيارة الحبيسين (متّى ٢٥: ٣٥-٣٩). فبالنسبة إلى المسيح، تمثّل هذه الأعمالُ تضحيةً عظيمة؛ لأن إنسانًا هو المستفيد الدنيوي من هذه الأعمال الخيرة، ولكن متلقيها الحقيقي هو الله (متّى ٢٥: ٤٠)، لكن ليس كذلك هو الحال بالنسبة إلى الأشرار؛ فيقول متّى «ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ (sêmâlêh): اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ (nûhrâ d‘âlmâ) الْمُعَدَّةِ

---

(١) Rudolph, Die Abhängigkeit des Qorans, 17; Horovitz, “Das Koranische Paradies,” in idem (ed.) Der Koran, 62-63; Ahrens, “Christliches im Qoran,” 55, 165; Thyen, Bibel und Koran, 240-43

(٢) لا يجب خلط هذا المشهد من إنجيل متّى بالصورة العامة والسردية المختلفة عنها إلى درجة ما في إنجيل مرقس ١٠: ٣٧- ٤٠، ١٢: ٣٦، ١٤: ٦٢، ١٦: ١٩، أو إنجيل لوقا ٢٠: ٤٢، ٢٢: ٦٩.

(*damṭîbâ*) لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (متّى ٢٥: ٤١). والعناصر المختلفة مثل «[اليد] اليسار» و«النار الأبدية» وكونها «معدَّة» لهم، عُبِّر عنها في مقاطع مختلفة من القرآن؛ ففي سورة الواقعة حُكِم على (أصحاب الشمال) بالعذاب المُهلِك [الواقعة: ٤٢]، وفي مواضع أخرى من القرآن نعرف عن الأشرار: ﴿...يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ...﴾ [النساء: ١٤، التوبة: ٦٣]. كما أن النار في سورة البقرة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]. كما أن التشابهات، مثل: (أصحاب الشمال) / (sêmâlêh)، و(نار...خالدين فيها) / (nûhrâ d'âlmâ)، و(أُعِدَت لِـ...) / (*damṭîbâ*) تعتبر ترجمات اقتراضية، مما يؤكد العلاقة بين الإنجيل السرياني لمتّى والقرآن العربي؛ ففي متّى تُحْصَى الأعمال السيئة التي قام بها الأشرار بنفس طريقة إحصاء الأعمال الصالحة التي قام بها الأبرار: «لِأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي. عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي» (متّى ٢٥: ٤٢-٤٣)[1].

وفي القرآن أيضًا يحصي المجرمون للصالحين ذنوبهم التي ألقتهم في النار فيقولون: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ

(١) يظهر هذا المقطع في التراث الإسلامي اللاحق متمثلًا في حديث قدسي في صحيح مسلم: ٣٢: ٦٢٣٢.

﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾[سورة المدثر: ٤٣-٤٦]. وعلى الرغم من اختلاف الذنوب في النصّين، باستثناء عدم إطعام المساكين، إلا أنه من المحتمل أن هذه العلاقة معطاة في هذا الاشتراك في تسلسل التوازيات بين يوم القيامة وبين ظهور القائمة القرآنية بالذنوب في المكان نفسه (بعد إلقائهم في النار) وبنفس الأسلوب (الأشرار «الذين لم») كما في إنجيل متّى.

يخلص إنجيل متّى إلى: «فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ (tašnîqâ dal'âlmâ) وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ». وعلى نفس المنوال يقول القرآن: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٦]. وفي موضع آخر يوصف عذابهم: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٢]. ونلاحظ في هذا المقطع أيضًا الترجمة الاقتراضية من اللغة السريانية بين (الْعَذَابُ – tašnîqâ)، وبين (خَالِدِينَ فِيهَا – dal'âlmâ).

إنّ قصص القرآن حول يوم القيامة وأحداثها الإسكاتولوجية المسهبة الكثيرة، وبشكلٍ خاصّ ما يشير إلى لغة إنجيل متّى أو الكتاب العبري المقدّس[1]، أكثر من القدرة على الحصر للفحص هنا على نحو شامل. وتؤكّد بعض تلك الآيات على المشهد المشترك للإله وهو يجمع الناس، ويتحاور

(١) For more on this see I. Hasson, EQ, "Last Judgment," 3, 136.

شخصيًّا مع الأشرار، ويرسلهم إلى الجحيم [سورة الأنعام: ١٢٨]، تمامًا كما فعل ابن الإنسان في متّى (راجع أعلاه). يدعم آخرون وجود موضوعات قرآنية متّية مشتركة (Common Matthean-Qur'anic themes)؛ مثل خوري الذي يذكر في دراسته[١] العلاقة الوطيدة بين النبوّة والعظمة الإلهية والحساب والإدانة (سورة الزمر: ٥٦-٦١، ٦٧-٧٥). بشكلٍ عامّ، يجب أن تكون الأمثلة المذكورة كافية للإشارة بوجود علاقة بين لغة الإدانة في الإنجيل السرياني لمتّى والنصّ العربي للقرآن.

(١) Khouri, "Selected ethical themes," 13-43

خاتمة:

أورد إنجيل متّى الرفض المتجدّد من المسيح لتفسير الفريسيين والصدوقيين للقانون اليهودي بلُغةٍ مُدينة على غِرار الكتاب العبري المقدّس. ونتيجةً لتجارب مماثلة؛ كالرفض الذي تلقّاه مُحمّد من يهود المدينة وخيبر وغيرهم من يهود الحجاز، وحتى قريشيي مكة، فقد ظهرت هذه اللغة في القرآن. ومع مشاركة القرآن الأناجيل تصويرَ عيسى ابنًا لداود حافظ القانون الموسوي ومحرره، فإنّ الإدانة القرآنية للسلطة الحاخامية والكهنوتية كثيرة الإساءات، جاءت في أغلب الحالات محاكية للغة اللاذعة التي استخدمها المسيح ضدّ السلطة الدينية في زمنه. وبغضّ الطرف عن كثير من التوازيات المواضيعية القادمة في الغالب من الإنجيل السرياني لمتّى، المستدعية في النهاية روح الكتاب العبري المقدّس، مثل التخفيف في القوانين التغذوية والتأكيد على التضحية الذاتية، فإنّ العلاقات اللغوية موجودة أيضًا. وذلك يشمل **الترجمات العربية الاقتراضية من السريانية**: (رئاء الناس / dnêṯḥazûn labnay anâšâ)، و(عَمًى [الاسمية] / maṣ ‘ [الفعلية])، و(أصحاب اليمين / ymînêh)، و(أصحاب الشمال / sêmâlêh)، و(نار خالدين فيها / nûhrâ d‘âlmâ)، و(أعدت للكافرين/ hây damṭîbâ)، و(عذاب / tašnîqâ)، **والمفردات المترادفة** مثل: (عبادة / bâdê‘)، و(صدقات / zêdqâtâ)، **والتعبيرات المترادفة**، مثل: (ويل لـ / wây li)، و(شهدوا على أنفسهم [بصيغة ضمير غائب للجمع] / mashdîn antûn ‘al nafškûn [بصيغة ضمير المُخاطَب])، و(يقتلون النبيين [فعل

مضارع] / daqṭalû lanbîyê [فعل ماضٍ تام])، و(في آذانهم وَقْر / bidnayhûn yaqîrâyît sham‘û)، و(قَسَت قلوبكم [الفعلية] / qašyût labkûn [الاسمية])، **واستخدام المفردات الإسخاتولوجية** في سياقات متطابقة للإدانة، مثل: (أسفار / safrê [إدانة الكتبة]).

لم يكن العرض المفكّك للآيات القرآنية غير المترابطة في بعض الأحيان مثالي تمامًا، ولكنه يخبرنا ببعض الأشياء، فتوزيع العبارات المتّية السريانية خلال السور القرآنية المختلفة يثبت أن هذه المعلومات كانت منتشرة في التقاليد العربية الشفوية للوسط القرآني، وليست مكتسبة من خلال قطعة نصيّة واحدة؛ وذلك نظرًا لأن الحكمة السريانية كانت قد انتشرت في الأوساط العربية قبل الإسلامية على أيدي الجماعات المسيحية المتحدّثة بالسريانية، وربما حتى شعراء الجاهلية، مثل: أبي زيد (القرن السادس- السابع)، والأعشى (المتوفى في سنة ٦٢٥ تقريبًا) وغيرهما. ولكن ما المسار الذي اتخذته الصور والكلمات الحقيقية لإنجيل متّى السرياني واصلة لجزيرة العرب؟ يجب على المرء أن يلاحظ، كما فعل منجانا وغريفث، أن أغلب النصّ المقدّس السرياني أو التقاليد أو «السريانوية» (أو «الحكمة السريانية» مجموعةً) المستنسخ في القرآن لم يكن نسخًا حَرفيًّا، بل تفصيلًا واستجابة وإعادة صياغة للنصّ الأصلي[١]. وقد أثبتنا ذلك في هذا التحقيق؛ فبالكاد يتم استنساخ

(١) Mingana, “Syriac influence on the style of the Kur’ān,” 80; Griffith, “The Gospel, the Qur’ān, and the presentation of Jesus in al-Ya‘qubi’s Tarikh,” 136-37

الكلمة أو العبارة في القرآن كما هي في الإنجيل السرياني لمتّى، بل مرّت بعملية (تغير مورفولوجي)، المشيرة إلى مرحلة طويلة من التنقل والتطور اللغوي.

فضلًا عن ذلك، فلغة القرآن التوحيدية المُخلِصة والمناهضة للسائد وصورها الحيّة لا تسمح للمسيح باتخاذ دور المُخَلِّص والإله كما في الأناجيل. وبدلًا من ذلك استبدل القرآن الـ(رب) بـ(ابن الإنسان) في المواضع المناسبة كإجراء ديني تصحيحي. وهذا يشير إلى درجة عالية من الطائفية و(السجال اللاهوتي) في الوسط المحيط بالقرآن.

وهذا يكشف عن ظاهرة مؤثرة أخرى، هي أن هناك أجزاء أساسية معيّنة من الحكمة المسيحية السريانية التي أثّرت على الهيئة اللاهوتية العامة للقرآن، كآياتٍ من الكتاب العبري المقدّس أو الأناجيل[١]، من المحتمل أنها أصبحت شائعة بين المسيحيين العرب، وفي التقليد الشفاهي العربي المتأخر عبر مسارات وسيطة. وتتضمّن هذه الوسائط الشِّعر الديني والتفاسير الكتابية والترانيم السريانية التي كتبها شعراء مشهورون، مثل: أفراهاط وأفرام وإسحاق الأنطاكي ويعقوب السروجي وغيرهم[٢]. ومن المعقول أن اللغة السريانية لإنجيل متّى دخلت

(١) S.K. Samir, "A reconsideration of the Qur'ān and its relationship to Christianity," in idem (ed.), *The Qur'ān in its Historical Context*, 145-61

(٢) يضع أندريه في كتابه: Les origines de l'islam et le christianisme قائمة طويلة بأسماء كثير من المؤلفين السريانيين، ص١٣٢-١٨٩. Griffith, "Syriacisms in the Arabic Qur'ān," 104-5.

الوسط القرآني تدريجيًّا، بفعل قوة الترانيم الدينية والصلوات والمواعظ المعتمدة على الأدبيات المسيحية السريانية.

لذلك يبدو أن عملية اندماج الحكمة السريانية مع الوسط القرآني تمّت قبل ظهور محمد ووحيه بزمنٍ كبيرٍ؛ بفعل قرونٍ من التبادل الشفاهي والتغيّرات اللغوية والنقاشات الطائفية، وأثبت القرآن في هذا الوسط قدرته الفاعلة على الحفظ والابتكار.

لقد ركّزتُ في هذه الدراسة على الإنجيل السرياني لمتّى، ولكن في دراساتٍ لاحقة آمل أن أتوسّع في بحثي ليشمل سائر الأناجيل السريانية، كما أخطّط لفحص اللغة المشتركة بين القرآن والأناجيل السريانية لموضوعات أخرى غير الإدانة؛ مثل الأمور الروحانية والشعائرية. أمّا هذه الدراسة، فتشير من جهتها إلى أن إدراك قيمة الأناجيل السريانية قد يساعدنا في الكشف عن الأصول القرآنية غير الواضحة[1].

(١) لا يقرّ المستشرقون بكون القرآن الكريم نصًّا إلهيًّا ووحيًا سماويًّا خالصًا ليس للبشر دخل فيه، ومن ثم يفترضون -حتى مع تسليم بعضهم باستقلاله كما هو الحال مع البدوي هاهنا- أنّ له أصولًا سابقة يحاولون الكشف عنها، في حين أنهم يختلفون في هذه الأصول التي يحاولون العثور عليها غاية الاختلاف، ويختلفون كذلك في إثبات اتصال الجزيرة العربية والنبيّ محمد بهذه الأصول المزعومة غاية الاختلاف ولا تتّفق لهم كلمة حول هذا، بل نجد إدراكًا من بعضهم للثغرات المنهجية المتعلقة باللغة وبالمدونات =

=

التي يتم ربط القرآن بها، والانتقائية التي تتم بها عملية المقارنة، وبالتالي تشكك أو على الأقل تضعف تماسك هذه الافتراضات -كما يشير البدوي نفسه معتذرًا في أكثر من موضع في هذه الورقة- ، وهو ما دفع بعض المستشرقين للتخلي عن محاولة توظيف دراسة علاقة القرآن بالكتب السابقة عليه لمعرفة أصول النصّ القرآني والاهتمام بدراستها عبر التناص للكشف عن طريقة البناء الخاصّ للنصّ القرآني للقصص والأمور التي يتقاطع فيها مع الكتابات السابقة عليه. (قسم الترجمات).